

الكيماويات المؤثرة على السلوك

PSYCHOTROPIC

يقول البروفسور (ب . ف . سكِنرَ -- B. F. SKINNER) :

« على مجتمعنا أن يحاول جاهداً السيطرة على سلوك الإنسان بحيث نستطيع توجيهه لما نراه مناسباً لنا !!! (كذا) ، قبل أن تتمكن « جماعة » !! أخرى من السيطرة على سلوكه وتوجيهه نحو طرقٍ لا تناسبنا !!! (٤٢) » .

والسؤال الهام الآن هو : هل بإمكان العلماء السيطرة على سلوك الإنسان ؟ لا شك أن هناك عقاقير تؤثر على سلوك الإنسان وهي على ثلاثة أنواع :

أولاً - العقاقير المهدئة (TRANQUILIZERS) مثل عقار (الميهروبامات (MEPROBAMATE) ، والليبريوم - (LIBRIUM) و (الليبراكس) (LIBRAX) الموجودة حالياً في الصيدليات العامة .

ثانياً - العقاقير المنبهة - (ANELEPTICS) مثل عقار (الكورامين) (CORAMINE) وأمثاله .

ثالثاً - العقاقير المؤثرة على النفسية - (PSYCHOTOMIMETICS) مثل مادة (ل . س . د - I.S.D) وغيرها .

ومنذ زمن بعيد يعرف الناس العقاقير المخدرة التي تستعمل في الطب

٤٢ - القبلة البيولوجية الموقوتة ، تأليف الدكتور جوردن راتري تيلور -

G.R. TAYLOR صفحة (١٥٧) .

الجراحي ، وقد تُستعمل لغايات غير شريفة ولا إنسانية ، ويكون الدافع إجرامياً ، سواء استعملت ضد فرد ، أو ضد جماعة ، أو ضد شعب بكامله .

وفي أواسط الخمسينيات من هذا القرن بدأت الولايات المتحدة بإنتاج مادة كيميائية سمّتها (ب . ز) (BZ) بعد عشر سنوات من الأبحاث قامت بها العسكرية الأمريكية .

و (B.Z) مادة يشبه مفعولها - إلى حدّ ما - مفعول (الأتروپين - ATROPINE) في جسم الإنسان في بعض النواحي ، (ANTICHOLINERGIC) وهي مادة بلّورية صلبة بيضاء تسمح لها خصائصها الفيزيائية والكيميائية بأن تُستعمل على شكل رذاذ لتُسْتَنْشَق وتدخل الرئتين وتُسبّب تعطيلاً مؤقتاً يُشبه الشلل مع فقدان البصر والسمع . فإذا أخذ منها الإنسان كمية كبيرة يظهر تأثيرها على الشكل المتدرّج التالي :

أ - بعد ساعة إلى أربع ساعات (١ - ٤) : ازدياد في ضربات القلب ، دوّار ، عدم توازن تقيؤ ، جفاف في الفم ، زيغان في البصر ، ضياع في الاتزان العقلي .

ب - بعد أربع ساعات إلى اثني عشرة ساعة (٤ - ١٢) : عدم قدرة على التأثير بالإثارات المحيطة ، وعدم القدرة على التحرك .

ج - بعد اثني عشرة ساعة إلى ست وتسعين ساعة (١٢ - ٩٦) : ازدياد في الحركة ، تصرفات مختلفة لا يمكن التكهّن بها ، ثم عودة بطيئة إلى الوضع العادي الطبيعي بعد يومين إلى أربعة أيام من التعرض لهذه المادة (٤٣) .

ويتركز تأثير هذه المادة في الجهاز العصبي المركزي على النشاطات التالية :

٤٣ - النواحي الصحية والأسلحة الكيميائية والبيولوجية ، إصدار هيئة الصحة العالمية عام ١٩٧٠ - صفحة (٥٠ و ٥١) .

١ - الذاكرة : إذْ يحدث فيها اضطراباً وخللاً .

٢ - القدرة على حلّ المشاكل : إذْ يعطلها .

٣ - الانتباه والتركيز والفهم : إذْ يشوش هذه القدرات .

وبعد زوال أثر الغاز هذا تزول كل هذه الأعراض ، دون أن تترك تعطيلاً دائماً لا جسيماً ولا عقلياً^{٤٤} .

ولقد جرّب الغاز على قطعة ثم وُجّهت بفأرة وأخذ لهما بشرط سينمائي وكان المشهد مثيراً ، فلقد خافت القطعة من الفأرة وحاولت جاهدة الهرب منها ، وكانت القطعة تقفز قفزات عالية في الهواء من الرعب والفرع كلما مرّت الفأرة قربها .

ثم جرّب الغاز (BZ) على بعض أفراد القوات المسلحة ، فكانت النتيجة أن نسي حارمن لإحدى المنشآت العسكرية الهامة « كلمة السر » وترك أحد الغرباء يدخل بينما انزوى هو مرتبكاً ضائعاً لا يدري ماذا يفعل .

ورافق إنتاج هذا الغاز في أميركا موجة دعائية قوية في الرأي العام ، أطلق فيها شعار « الحرب ... الإنسانية » !!! ؛ ولقد استأجرت ناظرية الدفاع الأميركية شركة خاصة للاعلان للترويج لبضاعة « الأسلحة الكيماوية ... الإنسانية » ؟؟؟ وعُرفت هذه الحملة الدعائية باسم عملية السماوات الزرق (OPERATION BLUE SKIES) ؛ وفي أسبوع واحد تقريباً - عام ١٩٥٩ - نشرت تسع صحف أميركية كبيرة سلسلة من المقالات عن برنامج الأسلحة الكيماوية والبيولوجية وكان من جملة عناوينها « حرب بلا موت » !!! وبدأت كذلك بعض المجلات العلمية والطبية الكتابة في هذا الموضوع

٤٤ - يذكر خبراء هيئة الصحة العالمية أن (BZ) قد يسبب وفيات في بعض الأحيان إذا استعمل في جو حار وجاف لأنه يمنع الترقق (النشرة الشهرية لهيئة الصحة العالمية مجلد ٢٤ عدد ٣ آذار - مارس - ١٩٧٠ - صفحة ١٠٢) .

معلنة أن استعمال هذا السلاح يُربح الحرب بلا خسائر كثيرة ، وحتى بلا دماء . وذلك بالتأثير الموقت على الجسم والعقل والنفسية في صفوف « الأعداء » .

ويذكر كتيب التدريب العسكري الأميركي رقم (٣-٢١٥-٢١٥-٣) أن بالامكان استعمال غاز (BZ) ليس فقط في الأهداف الحربية ، بل لإرباك وتعطيل قيادات هامة عسكرية ومدنية في أوقات الأزمات !! ؛ وهذا الأمر بالذات أحدث « قشعريرة » في جسم كبار رجال (الپاناغون) الأميركي الذين تذكروا أن أي إرباك عقلي ونفسي لقيادات عليا تملك أسلحة نووية ، قد يؤدي إلى كارثة عالمية لا يعرف أحد مداها .

ويقول كتيب عسكري أميركي آخر رقم (١٠١-٤٠-٤٠-١٠١) : يمكن لمركب BZ وأمثاله تحويل إنسان خامل مسالم إلى إنسان بالغ العنف .

وفي عام ١٩٦١ تراجع العسكريون الأميركيون قليلاً عن التأكيد على أبحاث المركبات الكيماوية التي تؤثر على سلوك الإنسان ، لأنهم عرفوا أنه ليس من الممكن التكهن بالسلوك الإنساني تحت تأثير هذه المركبات وحوّلوا أبحاثهم وجهة ثانية محاولين إيجاد مواد مخدّرة لشل القوات المعادية بتعطيل بعض وظائف الجسم ودرسوا مفعول بعض هذه المواد مثل مادة (ماريجوانا MARIJUANA) وهي تقريباً (حشيشة الكيف) ، ثم درسوا مادة (ل.س.د L.S.D) وبعض مشتقاتها ، ودرسوا مركب (Mescaline) ومركب (Psilocin) ولم يجدوا منها - على ما يظهر - فوائد عسكرية تُذكر ، لأنها لا تؤثر إلا إذا أخذت بكميات كبيرة باستثناء مركب (ل.س.د L.S.D) فهو يؤثر بعبارة بسيطة ولكن فائدته العسكرية محدودة أيضاً .

لم تكن الغاية من البحث عن مركب كيماوي يؤثر على العقل محاولة « غسل دماغ » القوات المعادية ، ولا إجبار المدنيين على اعتناق إيديولوجية سياسية معينة ، بل كانت الرغبة هي : إيجاد مركب كيماوي يُخرب التفكير المترن

عند الأعداء لفترة معينة من الزمن. فمركب (ل.س.د. L.S.D.) واسمه الكيماوي الكامل هو ثاني ايتيل أميد حمض الليزر جيك D — LYSERGIC ACID DIETHYLAMIDE قد اكتشفه كيميائيان سويسريان عام ١٩٤٣ وأخضع لاختبارات كثيرة ووُجد له تأثيرات عدة منها : فقدان الاتزان العقلي ، والارتباك ، والشك ، والقلق ، والأنهيار النفسي والجنون ؛ وادعى البعض أن استعماله يقود إلى ... السلام !! والعقل !! والسعادة !! — كذا— حتى أن الدكتور (تيموثي ليري — TIMOTHY LEARY) وصحبه حاولوا استغلال (ل.س.د. L.S.D.) لنشر دين جديد !!؟ (٤٥) .

ويحدث (ل.س.د. — L.S.D.) تصورات زائفة في خيال الإنسان إذا

استُشِيقَ بكمية أقل من $\frac{1}{1000}$ من المليغرام ، أما عيار $\frac{1}{10}$ من المليغرام :

فقد ... يقتل الإنسان . وأوضح الدكتور (إ.جيمس* — ليرمان — DR.,E. JAMES LIBERMAN) — وهو طبيب نفسي في واشنطن — في مجلة — علماء الذرة — عدد شباط — فبراير سنة ١٩٦٢ ، أن استعمال هذه المواد المؤثرة على السلوك كسلاح ، يثير مشاكل جديدة لأن عمر الإنسان ووزنه وجنسه وحالته الصحية ... كل هذه المتحولات لها تأثير على نوع سلوكه بعد استعمال هذه المواد الكيماوية ، ومن الصعب معرفة نوع التصرف والسلوك بعد استعمالها وبالتالي من الصعب بل من المستحيل السيطرة على تأثير هذه المواد الكيماوية .

وتكلف مادة (ل.س.د.) أكثر من مركب (BZ) ومن الممكن استعمال

مادة (ل.س.د.) في مياه الشرب^(٤٦) ، أو نشرها في الهواء لتدخل جسم الإنسان عن طريق جهاز التنفس ، أما تأثيرها : فيحدث بعد فترة وجيزة

٤٥ — الأسلحة الصامتة لروبن كلارك ، صفحة (٥٣ و ٥٤) .

٤٦ — تتأثر مادة (ل.س.د.) بالضوء وتتخرب بسهولة بواسطة المواد المؤكسدة بما في ذلك مادة (الكلور) التي تستعمل لتعقيم المياه (النواحي الصحية والأسلحة الكيماوية والبيولوجية صفحة ٤٧) .

وَمِن الصَّعْبِ نَشْرُ الْمَادَّةَ عَلَى شَكْلِ رِذَاذٍ فَإِذَا أَضْفْنَا لَهُذِهِ الصَّعُوبَةَ غَلَاءَ ثَمَّنِ الْمَادَّةَ هِذِهِ يُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّ (ل.س.د) لَيْسَ سِلَاحًا كِيمَاوِيًّا مَرْغُوبًا جَدًّا بِالرَّغْمِ مِنْ قُوَّةِ فَاعِلِيَّتِهِ : أَمَا كَيْفَ تُؤَثِّرُ هِذِهِ الْمَادَّةُ عَلَى سِلْوِكِ الْإِنْسَانِ ؟ فَأَمْرٌ لَمْ تَكْتَشِفْ دَقَائِقَهُ بَعْدَ . لِذَا لَيْسَ هُنَاكَ عِلَاجٌ مُضَادٌّ مُحَدَّدٌ ، وَيُمْكِنُ اسْتِعْمَالُ الْأَدْوِيَةِ الْمُهْدِئَةِ بَعْضَ الْأَحْيَانِ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ أَعْرَاضِهِ (٤٧) .

«ولعل أحسن ما أحتَم به هذا البحث عرض ما قاله الليفتنانت جنرال روثنشييلند» - اليهودي - الذي كان رئيس قسم أبحاث الأسلحة الكيماوية والبيولوجية في أميركا .

«ليس من الصعب التكهّن بأن أي قائد عسكري تحت تأثير مادة (ل.س.د) سيفقد قدرته على اتخاذ قرارات منطقية معقولة أو إصدار أوامر مترابطة ... وهكذا تضع وحدة العمل وتعمّ الفوضى ... » .

ويضيف قائلاً : «تصوروا ماذا سيكون تأثير هذه المواد إذا استعملت سراً في القيادات العليا للوحدات العسكرية المعادية ... أو إذا استعملت علناً على مجموعات ومنظمات كبيرة ؟ ويشعر بعض القادة العسكريين أن «علينا» الامتناع عن استعمال هذه المواد لأننا لا نعلم بالضبط ماذا ستكون النتائج !! ولكن فكّروا أين سيكون «العلم» !! اليوم أو أن ردّة الفعل على كل ظاهرة جديدة كانت : دعونا لا نجرب ما لم نعلم مسبقاً نتائج التجربة » . انتهى (٤٨) .

هكذا وبكل وقاحة «علنية» !! يريد الجنرال روثنشييلند استعمال هذه المواد الكيماوية الخطيرة ويحاول جاهداً إقناع العلماء العسكريين الأميركيين بضرورة استعمالها ... حباً في تطور «العلم» !! (كذا) وتطوره وتقدمه ، ضارباً بالنتائج الخطيرة المحتملة عرض الحائط .

٤٧ - النشرة الشهرية لهيئة الصحة العالمية مجلد ٢٤ عدد ٣ آذار - مارس - ١٩٧٠

صفحة (١٠٢) .

٤٨ - الحرب الكيماوية والبيولوجية لسيور هرش صفحة (٥٩) .